السيرة النبوية

زواج الرسول ﷺ بالسيدة خديجة

إعداد

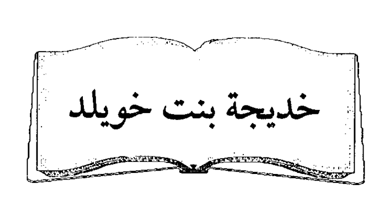
محمد عبده

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت : ٢٢٥٧٨٨٢



خديجة بنت خويلد

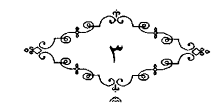
نسبها :

السيدة خديجة هى : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

وأمها هى: فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيض بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر.

التاجر الأمين :

اشتهر محمد ﷺ بالصدق والأمانة ، ولقبه أهل مكة بـ « الصادق الأمين » وكان رسول الله ﷺ يعمل فى رعى الأغنام ، ثم انتقل بعد ذلك إلى التجارة ، وكان لرسول الله ﷺ مكانة خاصة عند أهل مكة فكانوا يوافقون على قوله ، ويحبون الاستماع إليه ، وما منهم من أحد إلا وتمنى أن يكون رسول الله ﷺ ابنه أو أحد أقربائه.



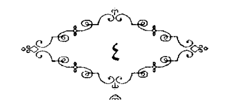
وانتقل خبر رسول الله ﷺ إلى امرأة من أغنياء مكة وهى السيدة « خديجة بنت خويلد بن أسد » وعلمت أن رسول الله ﷺ اشتهر بالصدق .. والوفاء .. والعفة .. والنزاهة ، فأرسلت إليه حتى يتاجر لها فى مالها.

وعندما حضر رسول الله ﷺ قالت له السيدة خديجة : لقد سمعت عنك الكثير فما رأيك في أن تخرج بمالى للتجارة به في الشام، وسوف يخرج معك غلام لى اسمه « ميسرة » ؟ .

وافق رسول الله ﷺ على هذا العرض ، وفرحت السيدة خديجة لقبوله ، وقالت له : وسوف أعطيك أفضل مما كنت أعطى غيرك من التجار .

*** ميسرة يحكى ما حدث :**

خرج رسول الله ﷺ مع ميسرة ، ورحلوا إلى الشام ، وعندما وصلوا إلى أرض الشام .. نزل رسول الله ﷺ ليستريح من تعب

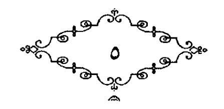


السفر ، فأسند ظهره إلى شجرة حتى يستظل بها ، ونام قليلاً .

وكانت هذه الشجرة بجوار صومعة راهب من الرهبان ، فخرج الراهب ، وأخذ ينظر إلى سيدنا محمد ﷺ نظرًا شديدًا ، وكأنه يعرفه وبعد فترة من طول النظر ، وجد الراهب ميسرة مستيقظًا ، وأدرك الراهب أن ميسرة مع النائم تحت ظل الشجرة ، فقال الراهب لميسرة: من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟

فقال له ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم .

فقال الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى وانصرف الراهب بعد أن قال هذه العبارة : « ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى» ، وأخذت هذه العبارة تتردد فى عقل ميسرة ، وميسرة يريد لها تفسيرًا ، وفى نهاية الأمر اهتدى ميسرة إلي أن محمدًا ﷺ سيكون نبيًا، فأخذ يتابعه في كل تصرف، فوجده سهلاً فى بيعه ، وسهلاً فى شرائه، ووجد الكل يرتاحون إلى التعامل معه ، والربح على يديه



أكثر بكثير من بقية التجار الذين تاجروا بمال السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ .

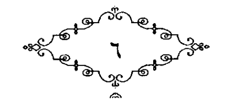
وبعد أن باع رسول الله ﷺ بضاعته ، واشترى ما يريده عاد الاثنين إلى مكة ، وأخذ ميسرة يراقب رسول الله ﷺ فى الطريق ومن شدة المراقبة لاحظ ميسرة أن هناك غمامة تظل على محمد ﷺ لتقيه شدة الحر ولهيب الشمس الحارقة ، وهذه الغمامة ، وكأنها ملكان من السماء يظلان محمدًا ﷺ .

ولما عاد إلى مكة باعت السيدة خديجة ما جاء به محمدٌ ﷺ فربحت ربحا كثيرًا ، فقالت لميسرة : يا ميسرة إن هذا الرجل مبارك له فى تجارته .

فقال لها : نعم يا سيدتى ... وهناك ما هو أكثر من ذلك .

فقالت السيدة خديجة : وما هو يا ميسرة ؟ .

فحكى لها ميسرة قصة الراهب الذى قال : « ما نزل تحت هذه



الشجرة قط إلا نبى » ثم حكي لها عن الملكين اللذين أظلانه.

وهنا فكرت السيدة خديجة تفكيرًا طويلاً ، ثم بعد هذا التفكير توصلت إلى قرار . . . هذا القرار هو « أنها ستتزوج محمدًا ﷺ ».

*** خديجة رضي الله عنها وقرار الزواج :**

السيدة خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ ، كانت تبلغ من العمر ما بين الخامسة والثلاثين والأربعين عامًا ، وكانت امرأة غنية ذات عقل وحكمة ، الكل يطمع في الزواج منها ، فهى ذات الحسب والنسب ، والمال .

ولكنها فكرت فى رسول الله ﷺ فهو شاب كان يبلغ الخامسة والعشرين ، وذو مكانة خاصة في قومه ، وتنبأت له بشأن عظيم ، هذا ما فكرت به السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ فلم لا تظفر بالزواج منه ؟!.

فأرسلت إليه ، وقالت له : يا ابن العم ، إنى قد رغبت فيك

لقرابتك ، وَسَيْطِكَ « أى شرفك وسيادتك » فى قومك وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ، وعرضت عليه الزواج ليتزوجها.

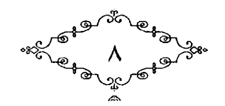
فلما قالت له ذلك استشار أعمامه ، فوافقوا وذهب عمه سيدنا حمزة بن عبد المطلب إلى « خويلد بن أسد » والد السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ ، وخطبها لرسول الله ﷺ .

وتزوج رسول الله ﷺ السيدة خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ .

* الزواج المبارك :

عاش رسول الله ﷺ فى منزل السيدة خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ وتمتع بحكمتها ، ولطف معاملتها ، وبدأت تظهر له علامات النبوة .

نعم بدأت تظهر له علامات النبوة فكل العلامات السابقة كان يلاحظها غيره أَمَّا هو فلا يعتنى بها ولا يلاحظها ، وفى بيت السيدة

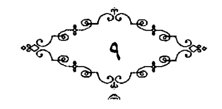


خديجة ـ رضى الله عنها ـ لاحظ رسول الله ﷺ أنه لا يرى رؤيا فى نومه إلا وتتحقق كما رأها ، وأخذ يلاحظ هذا ، ثم كره أفعال قريش كرهًا شديدًا ، وأحب العزلة والتأمل فى خلق المولى عز وجل، وكان يختلي بنفسه فى غار يسمى بغار حراء ، كان يجلس فيه فينظر إلى السماء وعظمتها وارتفاعها ، وما بها من نجوم وأقمار وكواكب ، ثم ينظر إلى الأرض وما عليها من مخلوقات ، وعندما يرى كل ذلك يوقن تماما أن هناك خالقًا واحدًا لهذه المخلوقات ، وأن الأصنام التى يعبدها قومه ما هى إلا عمل من أعمال الشيطان .

وكانت السيدة خديجة توافقه وتعينه على ذلك .

وبعد خمسة عشر عامًا من الزواج ، أى عندما بلغ عمر سيدنا محمد ﷺ أربعين عاما ، هبط الوحى على رسول الله ﷺ .

نعم ، بينما كان رسول الله ﷺ يجلس فى غار حراء كعادته إذ جاءه سيدنا جبريل عليه السلام ليعلمه كلام الله ولتبدأ نبوته .

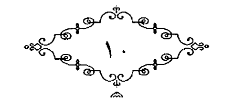


وجاء فى نزول سيدنا جبريل عليه السلام إليه حديث هذا الحديث هو عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ : « أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء . فكان يخلو بغار حراء «أى يجلس بمفرده فى غار حراء » . . يتحنث فيه « أى يتعبد فيه» الليالى أولاتِ العدد . قبل أن يرجع إلى أهله . ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها . حتى فاجأهُ الحقُّ وهو فى غار حراء . فجاءهُ الملك فقال : اقرأ .

قال : ما أنا بقارئ .

قال رسول الله ﷺ : فأخذنى فغطَّني « غطنى : أى ضمنى إليه وعصرنى كما تضم الأم ولدها إلى صدرها رحمة به» حتى بلغ منى الجهد .

ثم أرسلنى فقال : اقرأ .



قلت: ما أنا بقارئ .

قال: فأخذنى فغطّنى الثانية حتى بلغ منى الجهد.

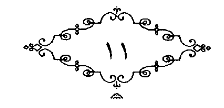
ثم أرسلنى فقال : اقرأ .

فقلت : ما أنا بقارئ .

فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : **﴿اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾** [العلق : ١ ٥] .

فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال : زملونى . . زملونى « أى غطونى . . غطونى » فزملوه حتى ذهب عنه الروع « الخوف » .

ثم قال لخديجة : أى خديجةُ ! مالى » وأخبرها الخبر . قال : « لقد خشيت على نفسى ».

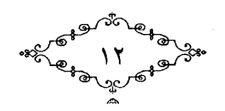


قالت له خديجة : كلا أبشر . فوالله ! لا يخزيك الله أبدًا . والله إنك لتصِلُ الرحم ، وتَصدُقُ الحديث ، وتَحْمِلُ الكَلَّ « تحمل الكل أى : تعطى المحتاج » .

وتكسِبُ المعدوم ، وتَقرِى الضيف « تكرم الضيف » ، وتعين على نوائب الحقّ » .

هذا هو الحديث الذى قالته السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن بدء الوحى ، وكيف عالجت السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ الموقف، وهدأت من فزع رسول الله ﷺ ، فهى بحق الزوجة الصالحة التى تعين زوجها ، وتقف بجواره في أصعب المواقف .

وتستحق أن يطلق على زواجها برسول الله ﷺ « الزواج المبارك»، ففي بيتها كانت البشرى الأولى بظهور الإسلام ، وبدء الدعوة إلى المولي العلام .



ورقة بن نوفل :

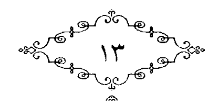
كان للسيدة خديجة بنت خوليد ابن عم يسمى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى » اشتهر بعلمه وحكمته ، ترك عبادة الأصنام ، وتفرغ لدراسة علم أهل الكتاب فآمن بالله ، وكان يكتب الإنجيل بالعربية حتى ابتلاه المولى عز وجل بالعمى .

ورأت السيدة خديجة أن تذهب برسول الله ﷺ إلى ابن عمها ، وبالفعل قامت وارتدت ملابسها ، وخرجت هى ورسول الله ﷺ ، وطرقا باب «ورقة بن نوفل » ففتح لهما الباب .

فقالت السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ : أى ابن عَمٍّ ! اسمع من ابن أخيك .

فقال ورقة بن نوفل : يا ابن أخى ! ماذا ترى ؟ .

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رآه ، فقال ورقة : هذا الناموس الذى أنزل على موسى ياليتنى فيها جَذَعًا .



ياليتنى أكون حيا إذ يُخرِجُكَ قومك .

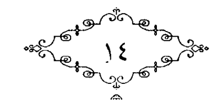
قال رسول الله ﷺ : « أو مُخْرُجِىَّ هم؟

قال ورقة : نعم . لم يأت رجُلٌ قَطُّ بما جئت به إلاَّ عُودِىَ وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مُؤزرًا .

وهناك تأكدت السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ بأن زوجها بنى من عند الله سوف يرسله الله إلى قومه ليخرجهم من الظلمات إلى النور وسوف يلاقى المصاعب والآلام من قومه ، ورغم علمها بذلك إلا أنها كانت فرحةً لأنها زوجة نبى من عند الله ، يخرج الناس من الظلمات إلى النور .

*** مكانة السيدة خدجة ـ رضى الله عنها ـ :**

كانت السيد خديجة ـ رضى الله عنها ـ العون لرسول الله ﷺ طوال حياتها ، وحتى توفاها المولى عز وجل فى عام سُمى بعام الحزن الذى سيأتى ذكره إن شاء الله فى قصة منفردة ولقد قال عنها



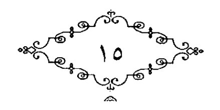
رسول الله ﷺ « خير نسائها : مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد » .

ولقد أتى جبريل النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ! هذه خديجة قد أَتَتْكَ معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب . فإذا هى أتيك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل . ومنى ، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ـ تعب ـ وكفاها فخرًا أنها أم أولاده جميعًا ما عدًا سيدنا إبراهيم بن مارية القبطية .

نعم السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ أم أولاده . التى لم يتزوج عليها وهى على قيد الحياة وأبناؤها منها ـ رضى الله عنها ـ .

❋ الذكور هم :

الكبير اسمه القاسم وبه كُنِّىَ رسول الله ﷺ فكنيته « أبو القاسم»، ثم الابن الذى يليه « الطيب » ، ثم « الطاهر » ولقد مات أولاده الذكور قبل ظهور دعوة الإسلام .



*** وبناته هن :**

« زينب » . و«رقية» و « أم كلثوم » و « فاطمة » .

والبنات كلهن أسلمن .

هذه هي مكانة السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ عونًا وسندًا لرسول ﷺ إلى أن توفاها الله . ثم إنها أم أولاده ، فرحمة الله عليك يا أم المؤمنين .



